قصيدة مطران في «مي»

قد تولى رقادُنا وبقينا ... يعلم الله بعدهم ما لقينا
هل من الصاب في كؤوسك سُؤرٌ ... قد سقينا يا دهر حتى روينا

أوداع يتلو وداعاً وتأبين ... على الإثر معقبٌ تأبينا
أيها الشاعر الذي كان حيناً ... يتغنى وكان ينحب حينا
حطِّم العود ، إن كر الليالي ... لم يغادر في العود إلا الأنينا
أن يُلمّ الردى بمَيّ وأن يط ... فئ مصباحها أليس غبينا ؟
طالع السعد كيف بدل نَوْءا ... يبعث الريح والسحاب الهتونا

فإذا ما أقرّ أمسِ عيونا ... قرّح اليومَ بالدموع عيونا
نعمة ما سخا بها الدهر حتى ... آب كالعهد سالباً وضنينا
أبهذا الثرى ظفرت بحسن ... كان بالطهر والعفاف مصونا
لهف نفسي على حِجَى عبقري ... كان ذخراً فصار كنزاً دفينا

إيه يا مي أسرف اليتم تبريـ ... ـحاً بروح كان الوفيَّ الحنونا
فقدك الوالدين حالا فخالا ... جعل البيض من لياليك جُونا

ورمى أصغريك رامي الكبيريـ ... ـن فذاقا قبل المنون المنونا
أقفر البيتُ ، أين ناديك يا مـ ... ـي إليه الوفود يختلفونا
صفوة المشرقين نبلا وفضلا ... في ذراك الرحيب يعتمرونا
فتساق البحوث فيه ضروباً ... ويدار الحديث فيه شجونا
وتصيب القلوب وهي غِرَاثٌ ... من ثمار العقول ما يشتهينا

في مجال الأقلام آل إليك الـ ... ـبق في المنشئات والمنشئينا
في لغات شتى وفي لغة الضا ... د تجيدين صوغ ما تكتبينا
أدب قد جمعت فيه علوما ... يخطئ الظن عَدها وفنونا
وتصرفت فيه نظما ونثرا ... باقتدار تَصرّفَ الملهمينا
تبتغين الصلاح من كل وجه ... وتعانين شقوة المصلحينا
وحى قلب يفيض بالحب للخير ... ويهدى إليه من يهتدونا

ويود الحياة عزا وجهدا ... لا يود الحياة خسفا ولينا
فهو آنا يبث بثاً رفيقاً ... يملأ النفس رحمة وحنينا
وهو آنا يثور ثورة حر ... عاصفاً عصفة تدك الحصونا
ينصر العقل، يكشف الجهل، يوحي الـ ... ـعدل ، يرعى الضعيف والمسكينا

أين ذاك الصوت الذي يملك الأسـ ... ـماع في كل موقف تقفينا
فُجِع الشرقُ في خطيبته الفصـ ... ـحى وما كان خطبها ليهونا
أبلغ الناطقات بالضاد عَيّت ... بعد أن أدت البلاغ المبينا
أطربته وهذبته وحثـ ... ـته على الصالحات دنيا ودينا
بكلام مفصل زانت الحكـ ... ـمة فيه البيان والتبيينا
قدرته لفظاً ولحظا وإيما ... ءً بما ودت المنى أن يكونا
ذاك في العيش ما شغلت به والـ ... ـغيد تلهو وأنت لا تلهينا

لم ترومي إلا الجليل وجانبـ ... ـت الأباطيل واتقيت الفتونا
وجعلت التحصيل دأباً وآتيـ ... ـت جناه فطاب للمجتنينا
فعليك السلام ذكراك تحيا ... وبرغم البعاد لا تبعدينا

خليل مطران